الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

سر الحاكم بأمر الله :

مسرحية تاريخية ، ألفها الأستاذ علي أحمد باكثير ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا في مفتتح موسمها التمثيلي . وتدور القصة حول الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، وتصور شذوذه وغرائب أفعاله ، والحادثة الهامة فيها أو «العقدة» هي ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية ، وقد تخيل المؤلف — لكشف سر هذا الادعاء — أن « المجمع الفارسي » بعث جماعة على رأسهم رجل اسمه حمزة الزوزني ، للعمل على هدم الدين الإسلامي في مصر ، فراقب حمزة الحاكم حتى ألم بأحواله وعرف أنه يروض نفسه على الحرمان من طيبات العيش والتخلص من الرحمة وسائر العواطف الإنسانية التي يسميها ضعفاً بشرياً ، فيتصل به ويوهمه أنه إلـه ويستعين على ذلك بتلفيق كتاب يدعى حمزة أنه مخطوط قديم ورثه عن آبائه ، وينبئ الكتاب بظهور ملك في مصر يحل فيه روح الله ، وتنطبق أوصافه على الحاكم بأمر الله ، فيضطرب الحاكم أولا ثم يقتنع بأنه إلـه ، ويتخذ حمزة رسولا له . وتسير الحوادث على هذا الخط حتى يفتضح أمر الفارسي بوقوع رسالة آتية إليه من المجمع الفارسي في يد الحاكم بأمر الله ، فتنكشف له الحقيقة ويكفر بنفسه ..

ويبدو المتأمل أن المؤلف لا يريد بيان سر الحاكم بأمر الله ، وإنما يرمي إلى تحليل شخصيته ، فتخيل خداع الفارسي للحاكم لا يتجه إلى حقيقة تاريخية ، من حيث إبداء رأي تاريخي في الباعث للحاكم على ما كان منه ، وإنما هو حبكة مسرحية غايتها خلق المواقف وترتيب الحوادث للوصول إلى تصوير هـــذه الشخصية الغريبة وبيان ما أحاط بها ، واستغلال كل ذلك في تقديم فن ممتع .

هذه هي غاية القصة كما أفهم ، وقد وصل فيها المؤلف إلى درجة لا بأس بهـا ، فقد صور الصراع بين الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك ، وصور الصراع بين الحاكم وبين نفسه ، ووجه طاقته إلى إبراز الأحاسيس وخوالج النفوس ، فنجح في كل ذلك ، وإن كنت الاحظ أنه عزز جانب الألوهية وقوى حجة ما سماه التخلص من الضعف الإنساني ، فأظهر — مثلا — الحاكم بأمر الله في ذبحه الغلام بمظهر الفيلسوف المنطقي ، وكان لابد من عمل شيء للسخرية من هذا المنطق . ومن ذلك أيضاً الحجة الدامغة التي أجراها على لسان حمزة الزوزني عند ما رد على الرجل الذي اعترض على الحاكم لأنه يسأله ويجب أن يكون عالماً بما يسأل عنه إن كان إلها حقاً ... رد حمزة بأن الله يسأل عباده يوم القيامة عما فعلوا بدنياهم وهو عالم به !

وما هو « المجمع الفارسي » الذي يعمل لهدم الإسلام في مصر ؟ أليس إبهامه في الرواية يوهم بأنه كان هيئة رسمية في الدولة الفارسية الإسلامية ! ؟ .

وحقاً إن الشعب المصري كان إذ ذاك ضعيفاً مسكيناً مسالماً ، ولكن لم إبراز ذلك على المسرح والتنويه به على أنه صفة دائمة له وفضيلة راسخة فيه ؟

وتنتهي المسرحية بختام يبدو غير طبيعي ، فإن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله التي كانت تقاوم جبروته وتعمل على أن ترده إلى صوابه ولما يئست منه دبرت قتله — تلتقي به في خلوته بجبل المقطم فيجري بينهما حوار يبدي فيه الحاكم ندمه ويستغفر ربه ويطلب منها الصفح عما بدر منه في حقها ، وكان هـذا يقتضي أن ترق له وتحول دون تنفيذ القتل بعد ما بان لها صلاح أمره . ولست أدري هل المؤلف هو الذي جعل الحاكم يصحح موقفه أمام أخته ثم تقتله ، وهي عنصر خير في الرواية ، أو حدث تعديل هذه النهاية في الإخراج ليكسب يوسف وهبي (ممثل الحاكم) محبة الجمهور وعطفه ... ؟

ويدل الإخراج والتمثيل على الكفايات المختلفة التي تضمها الفرقة المصرية الآن ، وقد أعجبني بل أطربني أن ممثلي الفرقة ينطقون اللغة العربية نطقاً طبيعياً كأنها اللغة اليومية العادية ، فلا تكلف إلقاء ولا نبرات خطابة ولا تمتر في التلفظ ، وهذا شيء آخر غير

النطق السليم فلا تخلو الحال من بعض الخطأ في الضبط مما لا يسلم منه لسان . وقد أثبتوا أن الفصحى هي لغة المسرح الراقي وأنها تفي بكل أغراضه حتى التهكم والتفكه ، مما يزعم بعضهم أنه لا يؤدى إلا بالعامية ، وقد برع فؤاد شفيق في ذلك حتى تكاد عربيته تقطر ظرفاً وفصاحة . أما رنين جرس العربية على ألسنة الممثلات فهو المطرب حقاً . ولله در أمينة رزق ! فهي عروس هذه المسرحية ، وقد أدت دور «ست الملك» فأجادت في مواقفه المختلفة ، وخاصة عندما دخلت على الحاكم مع قواد الجيش، وطعنها الحاكم في شرفها ، فمثلت الانفعالات النفسية أدق تمثيل . وأعتقد أن أمينة رزق أجدى على اللغة العربية من المجمع اللغوي ! وهي في ذلك قوة لا يستهان بها ولا تقل عن أم كلثوم في غناء شعر شوقي .

وقد تعاون المؤلف والممثل (يوسف وهبي) في تصوير شخصية الحاكم بأمر الله وتحليل نوازعه . وقد تحول يوسف وهبي في هذه المسرحية ، عن طريقته المعروفة ، تحولا محسوساً ، وذلك لطبيعة الدور ، فهو يمثل شخصية جبار متأله يتكلم في رقة ممزوجة بالاستخفاف لأنه يملك كل شيء ولا يحتاج إلى العنف والتهريج ، وقد كان يوسف وهبي يكتسح ويتغلب بالكلام والصياح ، أما الآن فهو يطيح بالرؤوس ويزهق الأرواح وهو هادىء وديع رقيق ، ولماذا يصخب وهو القادر على كل شيء ؟! وهذه هي طبيعة الموقف ولا شك . ولكن لم لم يستخدم يوسف وهبي أو الحاكم بأمر الله قدرته في « تكبير » الممثلة الفتاة التي مثلت « أم الحاكم » ؟ لقد كانت تسرع إلى حضنه رشيقة لفاء خفيفة الحركة .. له في ذلك حكمة !

والغلام الذي أتى به إلى الحاكم ليذبحه في أثناء رياضته للتخلص من الضعف البشري — لم يكن يشبه ابنه علياً كما اشترط ذلك إمعاناً في الرياضة ، ولم يكن يشبهه تمام الشبه كما قال عندما شاهده . وأظهر فرق بين علي وبين الغلام (مرجان) أن الأول أبيض والثاني أسود فاحم ؛ وقد مثل الاثنين بنتان ... وكان صوت على صوت بنت هي التي مثلته .

وثمـــة كلمة أخيرة يقتضيها إنصاف المؤلف ، فقد نشرت الإعلانات عن الرواية بالصحف والمجلات وعلقت بالجدران ، وأظهر ما فيها اسم يوسف وهبي وصورته في دور الحاكم بأمر الله ثم اسم زكي طليمات مخرج الرواية . أما المؤلف فلم يبدُ اسمه إلا في بعض الإعلانات ... في الآخر وبـ (بنط) صغير ... حتى الإذاعة ... لما أذاعت الرواية لم تكتب في برنامجها اسم المؤلف !

وأذكر أن يوسف وهبي أعلن أنه يمد يده إلى الأدباء ليعاونوه بالتأليف على النهوض بالمسرح ، فهل هو يمد يده إلى الأدباء ليبتلع إنتاجهم ويطوي أسماءهم ، ويأكل لحمهم ويرمي عظامهم ؟ ...

ذكرى الزين :

في مثل هذا الأسبوع من العام الماضي توفي الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين . وطالما لقيت هذا الصديق الفقيد في خلال هذا العام ...

نعم ، لقيته ولا أزال ألقاه في كل مكان صاحبته فيه ، وعند كل ما يذكرني به . تحوّم ذكراه على نفسي ، فآنس بها ، وأستوحش لبعده المادي أنساً ووحشة مجتمعين ... وكثيراً ما أتمثله يحدثني حديث المحلق فوق الحياة ، الساخر من سخف الأحياء وتفاهة مراميهم ، ولا أكاد أجد ما أحدثه به ، إذ أراه واقفاً على كل ما هنالك ... وأستغرق في هذا الشعور[1] حتى تنجلي عني الذكرى لأمر مما يشغلني ، فأنصرف إلى ما أنصرف إليه وفي نفسي من الأسى طعم شديد المرارة !

كنت أسير في يوم من الأيام الماضية بشارع يقع فيه منزل رجل من الأعلام ممن كان الزين يسعى لزيارتهم مدفوعاً بدافع الصداقة ، وإذا هو كأنه يسير بجانبي وقد أحطت ذراعه بذراعي ، وكأننا نقصد منزل ذلك العلم كما كنا منذ سنوات . ولكنه يقول لي : لا . لن نزوره ، قلت فيه شعراً ، ثم تقطعت الأسباب !

وبهذا الإيجاز أدرك مايعني ، فقد كان الزين يحرص على مودة أصدقائه من أهل الفكر والأدب ، وكان يتفق عليهم من شعره وهو الضنين به على غيرهم من ذوي الجاه والسلطان ، وكانوا يحتفون به ويحسنون استقباله ... ثم مضى . . ومضى معه كل

(١) وضح لي هذا الشعور الذي كان عامضاً في نفسي ، بعد قراءة ما كتبه الدكتور طه حسين بك بكتابه « رحلة الربيع » في الحديث عن ذكرى صديق لم يسمه ، وقد فهمت أنه الشيخ مصطفى عبد الرازق .

شيء ... تقطعت الأسباب !

ومضى عام ولم يوف حقه من تأبين ورثاء ، ولم يطبع ديوانه المخطوط ، ولم يصنع لليتيم شيء ذو بال . ولم يكن للزين ذنب إلا أنه كان شاعراً كبيراً ، وكان موظفاً (باليومية) في دار الكتب المصرية ، وقد ظل بها أكثر من عشرين عاماً يخرج لها وللناس كتب الأدب مصفاة دانية القطوف ، فلم تفكر هذه الدار في أن تصنع له شيئاً ، ولم يكن أقل من حفل للتأبين أو للاحتفاء بذكراه بعد مرور عام على وفاته .

والديوان المخطوط قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه بالمجان لابن الشاعر الفقيد ، وراح الصديق الوفي الأستاذ ابراهيم الابياري يطلبه ، فوجد أن أخاه الشيخ محمد الزين قد أخذه ، فاتصل به وأبلغه قرار اللجنة ، فوعد بتسليمه ولا يزال لديه إلى الآن .

وفي الديوان قصائد لم تنشر ، وفيه قطع خفيفة سهلة في «الساعة» و « المنيه » وما ماثل ذلك ، وهي قطع رقيقة فيها وصف دقيق وتعبير طريف ، فهي من أحسن ما يقدم لتلاميذ المدارس .

ويسرني أن أذكر أن في وزارة المعارف الآن (استمارة) لإعفاء أسامة أحمد الزين التلميذ بإحدى المدارس الابتدائية من المصروفات المدرسية . وسترسل مذكرة إلى مجلس الوزراء الموافقة على تعليمه بالمجان في جميع مراحل التعليم . وهي تحية طيبة من معالي السنهوري باشا لذكرى الشاعر الكبير .

من طرف الجالس :

نحن اليوم مع جماعة من الأدباء أغتنى مجلسهم في بعض الأحيان بإحدى القهوات الكبيرة . وأكثر ما يكون حديثهم عن الأشخاص في نواحي النقص التي ينفذون إليها فيمن يتحدثون عنه ، وكثيراً ما يكبرونها على طريقة « الكاريكاتير » وعدتهم في هذا التكبير أو هذا التشنيع ألسنة ذلقة حداد .. ولا يعفون من لواذع هذا « الفن » صاحباً غائباً ولا جليساً قام فمضى .. وإنه ليخيل إلي وأنا منصرف عنهم وقد صرت في الطريق أني أسمع ما يقولون عني . . وأتذكر من كان يحدثنا أنه طلب إليه أن يكتب مقالات لإحدى الصحف الكبيرة ، وألح عليه صاحب الصحيفة ، فكتب مقالتين دفع إليه لقاءهما عشرة جنيهات . . وانصرف المتحدث ، فقال واحد من الجماعة : إني أشك في صحة هذا الذي قال . فتحفز آخر للكلام ، وخلته قد تحمس للغائب ، وإذا هو يقول . إني أجزم بأن فلاناً (صاحب الصحيفة) لا يعرفه !

وأصغيت مرة إلى أحدهم يتحدث عن شاعر من «أصدقائه» بأنه تزوج فتاة من غير مهر ، وأراد المتحدث أن يعبر عن انخداع الفتاة فقال إنها اغترت بما في شعره من ألفاظ كالظلال .. والحرور . . . ومدّ ألف الظلال وواو الحرور حتى خلتهما يصلحان مهرا ...

وفي الجلسة الأخيرة « وقع » ذكر شاعر « صديق » فقال قائل : تصور أنه تغزل في امرأته ! وقال آخر : حسبك . . إنه ليس شاعراً . وقال شاعر من الحاضرين : أنا قد هجوت زوجتي ! وأنشد ما قال وفيه إقذاع ، فقالوا : هذا هو التعبير الصادق ، وهو الشعر لا ذلك الزيف . وروى أحدهم أن أعرابياً سئل : كيف بغضك لزوجتك ؟ قال : تكون بجانبي وتمد يدها على فأود لو أن آجرة خرت من السقف فقدت يدها وضلعاً من أضلاعي !

ثم قال الأول : أتدرون كيف يتغزل الشاعر في زوجته ؟ إنه يتغزل فيها كما يحرص على ألا يسهر في الخارج ويعود إلى المنزل متأخراً .. وإن كان بالأول يستجلب العطف ويتقي بالثاني سوء العاقبة ...

استقبال عضوين جديدين في المجمع اللغوي :

انتخب مجمع فؤاد الأول للغة العربية في دورته الماضية ، عضوين جديدين به هما الأستاذ محمد رضا الشبيبي عن العراق مكان المغفور له الأب أنستاس مارى الكرملي ، والأستاذ خليل سكاكيني عن فلسطين ولم تكن ممثلة من قبل في المجمع فرؤى أن يحل عضو منها محل المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقد قرر المجمع أن يحتفي باستقبال العضوين الجديدين في حفلة افتتاح مؤتمره السنوي ، وهو الذي يحضره الأعضاء الأجانب من شرقيين وغربيين ، وسيكون ذلك في اليوم السابع من ديسمبر القادم ، وسيقدم الأستاذ المغفور الأستاذ الشبيبي ، ويقدم الدكتور منصور فهمي باشا الأستاذ سكاكيني ، ويتناول كل منهما صاحبه بتعريف ودراسة شاملة . ويتحدث كل من العضوين الجديدين عن سلفه ، وقد أرسل المجمع إلى كل منهما بذلك .

عباس خضر